عروض وتقييم المراجع

موسوعة التاريخ الإسلامي: مراجعة علمية نقدية

عرض وتقييم
أ.د. خالد فهمى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

مدخل: قلق البدايات الطويل!

على الرغم من مرور أكثر من قرن على معرفة المعجم العربي الحديث لكلمة الموسوعة مكافئًا مترجمًا للكلمة الأعجمية Encyclopedia التي تندرج ضمن الأعمال المرجعية التي تلتقي مع المعجم في عدد من الخصائص البنائية، وتفارقه متميزة عنه في عدد آخر– فإن الجدل حول طبيعتها من جانب، وحول المكافئ الترجمي العربي – وإن بدرجة أقل – من جانب آخر ما زال مستمرًا.

ومن أقدم من توقف أمام مشكل تعريب هذا اللفظ أحمد زكي باشا رحمه الله في كتابه: موسوعات العلوم العربية، [المركز العربي للبحث والنشر، بالقاهرة سنة ١٩٨٣م، مصورة عن طبعة المطبعة الأميرية، بالقاهرة، ١٣٠٨هـ؛ (ص: ٧)]؛ حيث أفرد فصلاً في تعريب لفظ انسيكلوبيديا): encyclopedia، يقول فيه: "ما زال المترجمون حائرين... في نقل هذا اللفظ من العجمة وإلباسه ثوبًا من العروبة يليق به، ويدل على معناه". ومن المكافئات التي ذكرها:

أ – الحاوي.

ب– دائرة المعارف.

ج– الموسوعة.

د– جامع العلوم.

ولكن المجتمع العلمي – مع مرور الوقت – جنح إلى استعمال المكافئ: موسوعة الاعتبارات ظاهرة من مثل:

أ – الإيجاز.

ب– البيان والوضوح.

ج– مناسبة الصيغة الصرفية(اسم مفعول دال على الاتساع) للمعنى المراد من التسمية.

د– الاقتراب من الدلالة على مفهوم الموسوعة بما هو عمل مرجعي جامع يتجاوز حدود العناية بالتعريفات إلى بناء التصورات وتأسيس المفاهيم.

وتعاني العربية بصورة عامة من نوع فقر من جهة النظرة الكمية العملية؛ إذ تعد الموسعات الموجودة قليلة على كل حال، ومن أي منظور مقارن.

ومن ثم فإن صدور موسوعة التاريخ الإسلامي، التي أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، بالقاهرة ١٤٣٦هـ = ١٤١٥م، ضمن سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة – يعد عملاً مهمًا يستوجب المتابعة والحفاوة.

والحفاوة بالأعمال العلمية البر بها، وخدمتها بالدراسة والفحص من الجوانب المختلفة.

١– موسوعة التاريخ الإسلامي: المادة والانتماء المعرفي:

١/١ مادة الموسوعة، ضمت الموسوعة ما يربو عن(١٨٠) ثمانين ومئة مدخل، كتبها ستة وخمسون أستاذًا اختصاصيًا في مجالها.

وعنوان هذه الموسعة هو: موسوعة التاريخ الإسلامي، والقيد المستعمل في العنوان (الإسلامي) ينبغي أن يفهم في إطاره الموضوعي، لا الزمني، بمعنى أن هذه الموسوعة معنية في المقام الأول بما يتعلق بالتاريخ (الإنسان/ الأرض) الموصوف بالإسلامي، منذ ظهور الإسلام إلى يوم الناس، هذا، وليس مقصودًا به حمله على نوع من

التاريخ وفق التقسيم بحسب العصور التاريخية، التي تعبر عن تاريخ مجموعة من العصور المبدوءة بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وتنتهي على أعتاب العصر الحديث الذي يؤرخ له بالغزوة الفرنسية على مصر والشام ١٧٩٨م.

وهو قيد كان من الضروري جدًا بيان المراد منه، أو تعديل العنوان ليكون موسوعة التاريخ في العالم الإسلامي!

والمداخل التي ضمتها هذه الموسوعة هي:

(ج/١):- آل رزيع في اليمن/آل سعود /آل يعفر الحواليين في صنعاء/ الأتابكية/ الأتراك/ أجنادين/أحد/ الأحزاب/ الإخشيديون/ الأدارسة/ أذربيجان/الأراتقة/ الأزهر/الأسطول/الإسماعيلية/ الإسماعيلية في اليمن/الأغالبة/الأفشارية/ أفغانستان/الأكراد/ألبانيا/ الأمويون/ أمير الأمراء/أمير المؤمنين/ الأندلس/ إندونيسيا/ الأنصار/ أهل الذمة/أهل الصفة/ إيران/باب الأبواب/باكستان/ بدر/ البرامكة/البربر/ البردة/بغداد/ البقيع/ بلاد ما وراء النهر/بلاط الشهداء/ البنجاب/بنو حفص/ بنو حماد/ بنوزنكي/ بنو زهر/ بنوزيري/ بنو مدور/ بنو مرين/ بنو نجاح/ بنو نصر/ البوسنة والهرسك/ البويهيون/بيت الحكمة/ بيت المال/ تبوك/التحكيم/ تركستان/ تركمانستان/ ترمذ/ التكرور/ الثغور والعواصم/ ثقيف/ الجابية/ جامع أحمد بن طولون/ جامع الزيتونة/ جامع عمرو بن العاص/ جامع القرويين/ جامعة الدول العربية/ الجبل الأسود/جبل طارق/ الجراجمة/ الجراكسة/ الجمل/ حادثة الإفك/ الحبشة / الحجابة/ حجة الوداع/ الحديبية/ الحرة/ حركة الردة/ الحروب الصليبية/ حصن بابليون/ حطين / الحمدانيون/ الحميمة/ خزاعة/ الخزرج الخلافة/ الخلجيون/ الخوارزمية/ خيبر.

(ج/٢) : دار الأرقم/ دار الإسلام/ دار الحرب/ دار المسكة/ دار العلوم/ دار العهد/دار الندوة/ دنشواي/ دهلي/ دور الصناعة/ دومة الجندل/ ديار ربيعة/ ديار مضر/ دير ياسين/ الديلم/ الديوان/ ذات الصواري/ رأس الرجاء الصالح/ الرستيمون/ الرسوليون/ الرفادة/ الروم/ الزاب/ زبطرة/ زمزم / الزنج/ الزهراء / الزيادية/ الزياريون/السادات/ السامانيون/ السرايا/ سرنديب/ السقاية/ سقيفة بني ساعدة/ السنغال/ السودان/ سيشيل/ الشام/ الشرطة/ الشعوبية/ صحيفة المدينة/ الصفاريون/ الصفويون/ صفين/ الصقالبة/ الصليحيون/ صنفي/ الصوائف والشواتي/ طاجكستان/ الطاهريون/ طبرستان/ طرابيزون/

الطواشي/ الطولونيون/ عام الحزن/ عام الوفود/ العباسيون/ العثمانيون/ غار حراء/ الغزنويون/ الغنائم/ الغوريون/ الفاطميون/ فتح مكة/ الفتوة/ القادسية/ قبة الصخرة/ القرامطة/ القسطنطينية/ قلعة الجبل/ القيراون/ الكعبة/ المؤاخاة/ المرابطون/ المغول/ مكة المكرمة/ ملوك الطوائف/ المماليك/ الموالى/ الموريسكيون/ نهاوند/ الهجرة/ الوطاسيون في المغرب/ ولاية العهد.

إن تحليل ماد المداخل في موسوعات التاريخ الإسلامي، يوفي لمفهوم التاريخ الذي ينتصر للحادثات في ارتباطها بعنصري الزمان والمكان، أو الزمان والأرض، من دون رعاية مركزية للعنصر الإنساني، صحيح أن الإنسان يبقى دائمًا في أي تصور لمفهوم التاريخ حاضرًا بامتياز، لكنه في بناء هذه الموسوعة حاضرًا في الخلف، ولعل خلو الموسوعة من مداخل خاصة لأعلام كان لهم مساهماتهم في حركة التاريخ الإسلامي يدعم هذا الملمح من جانب، ويحيل على موسوعة الأعلام التي أنجزها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة قبلاً.

إن تغييب العلم الإنساني من المداخل في هذه الموسوعة انتصار من طرف خفي للقوي الجماعية غير الفردية، وانتصار للتحركات الاجتماعية الجماعية، وهو ميل يستصحب في روحه فلسفة الأمة.

صحيح أن ثمة أعلامًا/ أبطالاً بمفهوم بعض التصورات التي كانت شائعة لمفهوم صناعة التاريخ اعتمادًا على البطل التاريخي تظهر أحيانًا في معلومات التعليق على بعض المداخل، ولاسيما في مداخل الدولة الإسلامية التي أنشأها قادة، ونسبت إليهم لكن الموسوعة انتصرت لفكرة النظام لا الأفراد!

(١/٢) الانتماء المعرفي للموسوعة:

تتمايز الموسوعة بأنها نوع من أنواع المراجع التي تمثل – على حد تعبير الدكتور عبد الستار الحلوجي: (في كتابه: مدخل لدراسة المراجع، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م؛ ص: ظهر الغلاف): – "مفاتيح كنوز المعرفة"!

وموسوعة التاريخ الإسلامي تنتمي إلى نوع المراجع المعروف باسم الموسوعات المتخصصة، بتحكيم المعايير والقرائن التالية:

أولاً– المعيار الموضوعي، استقلت الموسوعة بمعالجة عدد من المداخل المنضوية تحت حقل معرفي خاص هو التاريخ الإسلامي، تقول مقدمة المشرف على الموسوعة (١/٧): "ولم يقتصر اهتمامنا في هذه الموسوعة على الجوانب السياسية، والحربية **من تاريخ** هذه الأمة، بل اتسع ليشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية، والمعمارية، والحضارية

بصفة عامة".

وتقول (١/٧): "ولا يمكننا الادعاء بأننا استوعبنا كل موضوعات التاريخ الإسلامي في هذه الموسوعة"!

من هذين النقلين يتضح لنا أن خطاب تحليل الموضوع يقضى بالحكم على انتماء هذه الموسوعة إلى نوع الموسوعات المتخصصة في حقل معرفي بعينه، هو التاريخ الإسلامي، أو قل: تاريخ العالم الإسلامي على امتداد عصوره من نشأته إلى اليوم.

ثانيًا- عنوان الموسوعة.

ثالثًا- وعي مقدمتي الموسوعة؛ (التقديم/ ومقدمة المشرف).

رابعًا- تحليل اختصاص هيئة التحرير التي ضمت أربعة أسماء لعلماء من كبار علماء التاريخ في مصر هم:

أ- أ.د. عبد الشافي محمد عبد اللطيف.

ب- أ.د.عبد الله محمد جمال الدين.

ج- أ.د.حسن على حسن.

د- أ.د.عبد الرحمن سالم.

خامسًا- تحليل اختصاص المراجعين العلميين للموسوعة التي ضمت الأستاذين الدكتور عبد الله محمد جمال الدين والدكتور عبد الرحمن سالم، وهما من كبار أساتذة التاريخ الإسلامي.

نحن إذن أمام موسوعة مختصة بالتاريخ الإسلامي، وهى موسوعة لا تعنى بفرع ضيق في هذا الحقل الواسع، ولكنها تغطي جغرافية التاريخ الإسلامي في حقوله الفرعية المختلفة، من مثل:

أولاً- التاريخ الإسلامي العام الذي يعنى بالأحداث الإسلامية الكبرى في عصور الأمة المسلمة المختلفة.

ثانيًا- التاريخ السياسي للأمة الإسلامية، فثمة مداخل للدول، والأنظمة والاتفاقيات الشهيرة؛ إلخ.

ثالثًا- التاريخ الحربي والعسكري، فثمة مداخل للمعارك، والمواقع والغزوات، والسرايا، والعهود، والهدنة، والحصون، إلخ.

رابعًا- التاريخ الاجتماعي، فثمة مداخل للجماعات، والحركات الاجتماعية، والثورات؛ إلخ.

خامسًا- التاريخ الاقتصادي؛ فثمة مداخل لدور الصناعة، والمفاهيم الاقتصادية والمالية، إلخ.

سادسًا- التاريخ الإداري؛ فثمة مداخل لتنظيم الحكم ومؤسساته، ومستجداته، ونظمه، إلخ.

سابعًا- التاريخ الثقافي، فثمة مداخل للمفاهيم الثقافية، والأفكار، والمؤسسات التعليمية والثقافية، إلخ.

ثامنًا- التاريخ الحضاري؛ فثمة مداخل للمؤسسات الحضارية، والمكتبات والمساجد،

ودور العلم، والترجمة، إلخ.

ويرتبط بهذا الحقل تاريخ العمارة، فثمة مداخل عن أنواع خاصة بمبان معمارية مائزة.

والموسوعة هذه لم تقتصر على الوفاء لمفهوم التاريخ التقليدي، وإنما بدا منها نوع تقدير لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة التي تحيط بمجمل النشاط الإنساني في اتجاهات الحياة المختلفة؛ يقول بيتر بوركي في كتابه: نظرات جديدة على الكتابة التاريخية، [ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، بالقاهرة، سنة ٢٠١٠م، سلسلة العلوم الاجتماعية للباحثين (٢) رقم الكتاب ١٥٩١؛ (ص: ٢٤)]: "صار التاريخ الجديد يحفل بكل أنماط النشاط البشري فعلا؛ إذ إن لكل شئ تاريخ"!

إن هذه الموسوعة بانتمائها المعرفي تمثل نقطة ضوء حقيقية في وسط ظلام يحيط بأدبيات هذا الفرع المعرفي، وأعماله المرجعية في العصر الحديث على مستوى نوعي: المعاجم التاريخية والموسوعات التاريخية معا؛ ولأجل ذلك ظهرت قيمتها المبدئية.

٢- موسوعة التاريخ الإسلامي:

خطاب التصنيف والنقد

يعتبر خطاب فحص التصنيف والنقد من الأساليب المؤكدة التي تحت دراسات البحث في الأعمال المرجعية من معاجم وموسوعات، وهما عنصران أساسيان في أية عملية لتقييم المراجع بشكل عام.

وهما عنصران مستعاران من البحث المعجمي الذي يتأسس به عنصر التأريخ المعجمي هذا المجال المعرفي المهم، وفق ما قرره هارتمان في كتابه : المعاجم عبر الثقافات.

منهج موسوعة التاريخ الإسلامي: البنية الكبرى/ والبنية الصغرى. يعالج ركن التصنيف البنية الكبرى/ والبنية الصغرى للموسوعة، كما يلي:

أولا- منهج بناء الموسوعة (الهيكل العام):

تضم موسوعة التاريخ الإسلامي، ثلاثة أقسام هي:

١- المقدمات(واجهة الموسوعة).

٢- متن الموسوعة.

٣- كشافات الموسوعة، أو فهارسها .

وفيما يلي بيان للملامح كل عنصر من عناصر هذه البناء:

١- واجهة الموسوعة:

ضمت واجهة الموسوعة أو مقدمتها مجموعة من المكونات هي:

أولاً- مقدمة المشرف العام على الموسوعة بعنوان هذه الموسوعة، (١/٧-٨)، وتضمنت المعلومات التالية:

أ- موقع الموسوعة في قائمة موسوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، فهى الموسوعة الثانية عشرة "في سلسلة الموسوعات المتخصصة التي يتولى المجلس ... إصدارها في مجال علوم الإسلام، وفكره، وحضاراته".

ثانيًا- الانتماء المعرفي للموسوعة؛ فهي: موسوعة متخصصة في التاريخ الإسلامي، بفروعه الشاملة الكثيرة.

ثالثًا- طبيعة التصور الذي صدرت عنه الموسوعة، وهو اتساع دائرة الاهتمام بفروع التاريخ الإسلامي، جميعًا، وعدم الاقتصار على التاريخ السياسي والحربي فقط.

وينضم لمعلومات واجهة الموسوعة أيضًا:

أولاً- قائمة بأسماء السادة العلماء الذين يشكلون هيئة تحرير الموسوعة.

ثانيًا- قائمة بأسماء السادة العلماء المراجعين العلميين للموسوعة.

ثالثًا- قائمة بأسماء السادة محرري مداخل الموسوعة.

وقد أخلت واجهة الموسوعة بعدد من المعلومات الأساسية المنصوص عليها في صناعة واجهات الموسوعات من مثل:

أولا- غياب بيان إرشادات الاستعمال.

ثانيا- غياب بيان طبيعة مستعملي الموسوعة.

ثالثا- غياب بيان أهداف الموسوعة.

رابعًا- عدم تعيين طريقة تحديث معلومات الموسوعة، ولاسيما وأنها متخصصة في مجال سريع التغيير وهو التاريخ.

خامسًا- غياب بيان منهج الموسوعة ونظام ترتيب مداخلها، خارجيا وداخليا، هذه الأمور مهمة جدا.

ومن جهة أخرى فإن ما اعتنت به مقدمة الموسوعة جاءنا ناقصًا، فقد أحسنت الموسوعة عندما صنعت قوائم بأسماء هيئة التحرير، والمراجعين العلميين والمحررين، وهو قاعدة تنص عليها قواعد صناعة مقدمات الموسوعات، ولكن فاتها أن تذكر أمام كل اسم في كل قائمة: الدرجة العلمية، والطبيعة الوظيفية. وهو أمر مهم ومحدد بالغ القيمة على طريق بناء الثقة في معلومات الموسوعة.

كما أن القائمة التي تضمنت أسماء المحررين نقص منها رصد عنوانات المداخل مرتبة ترتيبا هجائيا لكل محرر.

٢- متن الموسوعة: البنية الكبرى:

مثل جسم الموسوعة القسم الثاني من بنائها أو هيكلها العام، وقد رتبت المداخل فيه

ترتيبًا هجائيًا وفق استعمال المدخل في صورته المتداولة بحسب الحرف الأول من كل مدخل، بلا تجريد.

وهو ما يعني تقسيم الموسوعة إلى أبواب بعدد حروف الهجاء أو المعجم، وقد بلغت كثافة أبوابها ثلاثة وعشرين بابًا؛ إذ غابت المداخل عن أبواب حروف: الضاد/ والظاء/ واللام/ والياء! وهذا فيما يخص الترتيب الخارجي. ثم رتبت المداخل داخل كل باب أو تحت كل حرف هجائي ترتيبًا ألفبائيًا يراعي بعد الحرف الأول الحروف الثواني والثوالث؛ إلخ.

وبذلك تكون الموسوعة اتبعت في ترتيب مداخلها خارجيا وداخليا تطبيقات النظام الهجائي الألفبائي، تيسيرا على المستعملين، ومتابعة للمنهجية الشائعة في صناعة الموسوعات في العصر الحديث بشكل عام.

٣- متن الموسوعة: البنية الصغرى:

تمثل البنية الصغرى للموسوعة أهم المكونات جميعًا؛ ذلك أنها هي مجموعة المعلومات التى تندرج تحت المداخل.

وتضم معلومات البنية الصغرى في الموسعات وفق التصور المثالي أربعة أنواع من معلومات التعليق هي:

أ- معلومات التعليق على شكل المدخل أو صيغته (ضبطًا وهجاءً ونوع صيغته الشكلية).

ب- معلومات التعليق على معنى المدخل (من المعلومات التي تعرف بالمدخل/ ومستوى استعماله في مجال الموسوعة الموضوعي أو المعرفي).

ج- محدد منح الثقة في معلومات ما تحت المدخل (توقيع كاتب المدخل أو محرره).

د- محدد توسيع أفق المعرفة بمعلومات المداخل (المراجع المرصودة للاستزادة).

وفيما يلي فحص لهذه المحددات الأربعة المشكلة لعامود الصورة الخاص بالبنية الصغرى للموسوعة:

أ- تفاوتت عناية موسوعة التاريخ الإسلامي **بمعلومات التعليق على الشكل** من أكثر من زاوية، يمكن بيانها كما يلي:

١- تفاوت العناية بأنواع معلومات التعليق على الشكل ، فلم يطرد ظهور نوع بعينه منها، وإن كان الضبط بنوعه التقييدي كان أبرزها على الإطلاق الحاجة إلى من المداخل لبيان طريقة نطقها لغرابتها على القارئ العربي المعاصر[انظر: غار حراء بالكسر والتخفيف والمد (٢/ ١٣٤٠)]، هذا فضلاً عن عناية بضبط كثير من المداخل

بطريقة ضبط القلم (أو ما يعرف باسم: التشكيل)!

[انظر: آل يعفر(١/٢٩) / وأحد (١/٦١)/ وأهل الصفة(١/٢٦٤)/ والديلم (٢/١٩٥١)/ والرستميون (٢/٩٨٠)/ وصفين (٢/ ١١٧٩) وغيرها].

أخلت الموسوعة بضبط عدد كبير من المداخل مع حاجة كثير منها إلى ذلك لغرابته على القارئ المعاصر.

٢- غياب بقية معلومات التعليق على شكل المداخل اكتفاءً بمراجعة المداخل، ولاسيما معلومات الهجاء. وإن ورد في مرات قليلة جدًا بعض صور العناية بالمعلومات الصرفية، كما في [الثغور والعواصم (١/ ٥٧٨)؛ جمع ثغر!].

ب- أما معلومات **التعليق على معنى المداخل**، أو معلومات النطاق المعرفي المبين عن هوية المداخل؛ فقد تمتعت بقدر كبير من الرعاية، وبدت وافية في كثير من الأحيان وقد احتوت معلومات التعليق على معنى المداخل فيما يلي:

١- رعاية جانب المعلومات الاشتقاقية في عدد من المداخل، عند استشعار الارتباط بين لفظ المدخل، وأصوله الاشتقاقية، بنوع مناسبة بين هذه الأصول وصورة المصطلح المستعمل في الموسوعة.

[انظر: تعريف الثغر في اللغة : كل فرجة في جبل، أو بطن واد، أو طريق مسلوك الثغور والعواصم (١/ ٥٧٨) / والحجابة (١/ ٦٩٨) من الفعل: "حجبه الرجل؛ أى: منعه من الدخول، وفلان يحجب للأمير؛ حاجبه"/ والجرة (١/ ٧٢) وأصل الجرة لغة: "الجرة: أرض ذات حجارة سود نخرة؛ كأنما أحرقت بالنار" وغير ذلك من المواضع]

ومثل هذه المعلومات مهمة في أمثال هذه المداخل؛ لارتباط غالبها بمفاهيم وتصورات معرفية، يحسن افتتاح ما تحتها من تعليق بمعلومات الاشتقاق الكاشفة؛ بما هي تمهيد وتهيئة لتحصيل المعنى الاصطلاحي في التاريخ الإسلامي.

٣- التعريف، وهو مجموع المعلومات - في هذه الحالة- التى تمنح القارئ تصورًا علميًا عن المداخل من جهة: طبيعته، ونشأته، وتطوره التاريخي، وعوامل ظهوره، وسياقه الحضاري الذي أظهره، وما يترتب على ظهوره في حياة الأمة المسلمة، وتأثيره في حركة تاريخها، ومدة استمراره وبقائه، وأسباب ذلك، ومن كان وراءه.

وفي هذا السياق ظهر تفاوت معلومات التعليق من مدخل لآخر، تبعًا لمحددات كثيرة، هي:

- موقع المدخل التاريخي في المجال الفرعي (عام/ أو سياسي/ أوحربي/ أو اجتماعي، إلخ).
- والمرحلة التي ظهر فيها.
- وتأثيره في حركة التاريخ، والدور الذي لعبه على مسرح الحياة.
- وطبيعة القائمين الذين كانوا وراء الحدث التاريخي، إلخ.

أي ما يمكن التعبير عنه بالوزن النسبي للمدخل في التاريخ الإسلامي.

٣- مستوى الاستعمال:

إن مما يحسب لهذه الموسوعة عنايتها الظاهرة، وإن لم تكن مطردة في كل مداخلها ببيان مستوى استعمال هذا المدخل أو ذاك، بطريقة موجزة ودالة ؛ فقد حرصت على إضافة المجال الدلالي/المعرفي الذي يميز بعض المداخل، على طريق التنوير للقارئ أو مستعمل الموسوعة، بمعنى أن ثمة حرصًا ظاهرًا بدا من الموسوعة بتهيئة الطريق بين يدي مستعملها عن طريق وضع نوع المدخل، وتعيين انتماءه المعرفي الضيق للمفهوم التاريخي الحاكم.

ومن أمثلة ذلك:

- ١/ ٥١= أجنادين (معركة) ٠/ ١/ ٤ /١ = الأخشيديون (دولة).
- ١/ ٣٠٩= بدر(غزوة) ٠/ ١/ ٧٦٠= حطين (موقعة).
- ٢/ ١٤٤٩= القسطنطينية (فتح) ٠/ ٢/ ١٠٣٩= الرنج (ثورة).

وهذا وعي جيد بأهمية بيان مستوى الاستعمال في الموسوعات المختصة، متعدية المجالات الفرعية، كعلم التاريخ.

ومع امتداح هذا الوعي، فإن ثمة انتقادات على بعض ما شابه من ملاحظ سلبية، هي:

أولاً- عدم اطرادها في كل المداخل، مع الاعتراف؛ بسهولة اكتشاف مستوى الاستعمال، من شهرة بعضها.

ثانيًا- تفاوت ظهور عناصر من معلومات مستوى الاستعمال، من مثل وضع بعض التواريخ تحت بعض المداخل الخاصة بالأحداث، أو المواقع، أو المعارك، أو الغزاوت، إلخ، من دون بعض.

ثالثًا- غياب بيان الفرع التاريخي الذي ينتمي إليه هذا المدخل أو ذلك فقد ظهر من مقدمة المشرف على الموسوعة اتساع نطاق المجالات الفرعية لموضوعها، وهو التاريخ الإسلامي ، مما كان يقضي تعيين عبارة كاشفة بصورة منتظمة أمام كل مدخل/ أو في بدايته: سياسي/ أو حربي/

أو حضاري/ أو ثقافي/ أو اقتصادي/ أو عام (شائع)؛ إلخ.

رابعًا- ظهر توتر في التعامل مع بعض معلومات التعليق على المعنى، ظهورًا نادرًا وغيابًا أصيلًا ظاهرًا، من مثل:

١- إيراد مكافئات أو ترجمة لبعض المداخل، من مثل ما كان مع المدخل: (رأس الرجاء الصالح = Cape of Good hope ٢/ ٩٧٥) بغير بيان للمسوغ العلمي وراء ذلك، ولاسيما أن الموسوعة مصنوعة لنوع مستعمل عربي، غرضه الاستيعاب والتحصيل، وليس من غرض الترجمة!.

٢- إيراد بعض معلومات التأصيل اللغوي في أحيان وغيابها في أحيان أخرى (كما في تتبع التطور الدلالي لمصطلح، التكرور ١/ ٥٧١) مثلاً.

ج- توقيع المداخل:

من الأمور التي ترقى بمنزلة هذه الموسوعة حرصها على واحد من أهم محددات صناعة الثقة في معلوماتها؛ وهو المحدد المعروف في صناعة الموسوعات بمحدد توقيع محرر المداخل، فقد ظهر اطراد توقيع المداخل، باسم كاتبها أو محررها.

وهو ملمح مهم جدًا على طريق تقدير القيمة العلمية لهذه الموسوعة.

ولعل أظهر الملاحظ على الموقعين على المداخل الموسوعة كامن في غياب بعض العلماء من ذوي السمعة العلمية الممتازة في مجالها من مثل:

- أ.د. عبادة كحيل، رحمه الله الذي كان حيا أيام إعداد الموسوعة.
- أ.د. قاسم عبده قاسم.
- د. محمد كمال الدين عز الدين.

د- مراجع الاستزادة من المعلومات:

من الأمور الجيدة في بناء هذه الموسوعة حرصها على تذييل كل مدخل بمجموعة من المراجع؛ وهو محدد مهم محقق لآفاق التوسع العلمي لمن يحتاج إلى معلومات أخرى من جانب، وللحفاظ على مستوى التوازن بين حجوم التعليقات على المداخل مع ضمان خدمة المستعمل من جانب آخر.

وهو محدد مهم يرقى بمنزلة الموسوعة من جانبي: تعزيز الثقة فيها، وتعزيز منظور المستعمل غير أن ملحظًا مهمًا برز في تعامل الموسوعة مع عدد من المداخل، وهو غياب المصادر الأصيلة في موقع النص على مراجع الاستزادة وحتى لا يكون الملحظ تحكيميًا، فإنني سأشترط في ذكر الأمثلة المنتقدة هنا بضرورة ظهور اسم المدخل في المراجع الغائب عن البند الخاص في آخر كل مدخل بمراجع الاستزادة:

أولاً-: في مراجع الاستزادة المرصودة على

المدخل: (صفين ٢/ ١١٨٧) غاب المصدر المهم: وقعة صفين، لابن مزاحم المنقري، المتوفي سنة ٢١٢هـ ، وقد نشره محققًا الأستاذ/ عبد السلام هارون، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م، بالقاهرة.

ثانيًا- في مراجع الاستزادة المرصودة على المدخل: (الصقالبة ٢/ ١١٩٥) غاب المصدر المهم: الدرة الخطيرة في شعراء الجزيرة: "جزيرة صقلية"، لابن القطاع الصقلي، المتوفي سنة ٥١٥هـ ؛ وقد نشره محققًا بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

من جانب آخر فقد غاب عن معلومات التعليق على المداخل كل الموضحات البصرية، مع أهميتها الخطيرة جدًا، فمثلاً غابت الخرائط، وصور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الحضاري، مع إمكان ذلك؛ من مثل: صورة للأزهر، أو جامع ابن طولون أو دار الكتب المصرية، إلخ.

كما غابت صور بعض المداخل المنتمية للتاريخ الثقافي من بعض صور الوثائق، أو المعاهدات؛ إلخ.

فوت هذا الغياب مجموعة من القيم العلمية المعترف بها التي من شأنها: الارتقاء بتقدير الموسوعة، والارتقاء بمستوى الموثوقية العلمية فيها.

كما تورطت الموسوعة في ما يمكن تسميته بالإنجاز للإقليم مصدر صناعة الموسوعة، وهي الدولة المصرية، فقد بدا من فحص المداخل الملامح التالية:

أولاً- ارتفاع نسبة المداخل المنتمية لتاريخ مصر السياسي والحربي والثقافي والحضاري والاجتماعي والاقتصادي مقارنة بغيرها من البلدان الإسلامية في العالم الإسلامي؛ فعلى حين ظهر مدخل للجامع الأزهر، مع تقدير منزلته في التاريخ الإسلامي – غابت مداخل للمسجد النبوي، وللمسجد الأقصى!

ثانيًا- غابت مداخل مهمة جدًا تمثل في الحقيقة علامات فارقة في التاريخ الإسلامي، وتمثل علامات تحول مفصلي، من مثل: غياب مداخل لسقوط الأندلس، أو سقوط غرناطة/ والجامعة الإسلامية، والعروة الوثقى، وغير ذلك.

٣- كشافات الموسوعة ١٦/ ١٤ ب:

اكتفت هذه الموسوعة بكشاف واحد فقط ، للمداخل؛ وقد رتب ترتيبًا ألفبائيًا هجائيًا وفق منطوق لفظ المدخل في الاستعمال النهائي، قصدًا إلى المبالغة في التيسير على المستعملين مقرونًا بالمؤشر المكاني، أي الجزء والصفحة ، موضع وروده والتعليق عليه وهو الرابط كذلك .

ابتدع هذا الكشاف أمرًا جديدًا هو: وضع

مداخل غير معلق عليها في الموسوعة أصلاً بغرض استكمال تنوير مداخل أخرى فيها ، فقد أورد الكشاف – مثلاً – مدخل للأوس، وهو غير معالج فيها، وأحال في الكشاف على مدخل: الأنصار المعلق عليه، وكذلك التتار، والحجر الأسود، وقد تحقق من وراء هذا أمرين هما:

أولاً: التيسير على المستعملين.

ثانيًا: الترابط المفهومي، أو التماسك الدلالي بين عدد من المداخل.

ثالثًا– الكشف عن بعض العلاقات الدلالية بين عدد من ألفاظ المداخل ، ولاسيما علاقتي الترادف وثمة ملاحظ تتعلق بقسم الكشافات؛ وهي:

أولاً: غياب مجموعة من الكشافات المهمة للغاية من مثل: كشاف الأعلام التاريخية والأحداث التاريخية، وغيرها.

ثانيًا: عدم إطراد كلمات التنوير أمام جميع المداخل في الكشاف، فقد أورد الكشاف أمام عدد من المداخل بعض كلمات دالة عن مستوى الاستعمال، لكن منهجه لم يطرد.

د– موسوعة التاريخ الإسلامي :

نموذج تحليلي لنص تطبيقي

من أجل دعم ما سبق من مراجعة علمية نقدية، فستتوقف هذه المراجعة. أما نموذج تحليلي لنص تطبيقي، نسعى إلى تشريحه لبيان خصائص منهج هذه الموسوعة، وملامحه التطبيقية ؛ والنص موضع التحليل هو: صحيفة المدينة (٢/ ١١٥٨ – ١١٦٢).

يمثل تعيين هذا المدخل في هذه الموسوعة نموذجًا لما سبق، وتقرر في هذه المراجعة من تبني هذه الموسوعة لمفهوم الكتابة التاريخية الجديدة؛ حيث إن إفرادها مدخلاً لهذه الصحيفة يتجاوز حدود الكتابة التاريخية التقليدية، وهو تعبير عن الاحتفال بمجمل النشاط الإنساني وهو نموذج جيد لتداخل المجالات التاريخية، فهذا المدخل صالح لأن ينتمي إلى التاريخ السياسي، والاجتماعي، والديني، والاقتصادي، والحربي معًا.

هو تنظيم للعلاقات بين الطوائف المختلفة (سياسة)، وهو رعاية للاختلافات الدينية (دين)، ورعاية للمواطنة والتعايش الواحد (اجتماع)، وتنظيم للثروات، وتوزيع لها (اقتصاد)، وبناء لمنظومة من الدفاع المشترك (حرب) إلخ.

وقد كتبت المقالة/ المدخل بتداخل منهجين في التأليف التاريخي هما:

أولا: الكتابة السردية.

ثانيا: الكتابة البنائية.

وقد تضمنت ما يلي:

١– موقع الصحيفة على خريطة الأحداث

التاريخية في تأسيس الدولة الإسلامية.

٢- اختيار عنوان المدخل من داخل نص الصحيفة (تعليل التسمية).

٣- مكونات الصحيفة، تتكون من سبعة وأربعين بندا.

٤- تحليل أهم بنود الصحيفة؛ وهي:

أ- أطراف من تعنيهم الصحيفة.

ب- تغيير معيار انتماء الأمة من العرق إلى الدين.

ج- البنود التسعة الأولى لم تأت لتهدم الهويات.

د- تحديد طريقة التعامل مع اليهود.

هـ- تكرار التأكيد على حقوق اليهود وواجباتهم في تحمل أعباء القتال مع المسلمين (تأكيد مبدأ المواطنة الكاملة).

و- حسم مهمة تعيين رئاسة النظام في المدينة، وهو للنبي ، وله وحده سلطة حسم النزاع.

٤- **توقيع كاتب المدخل**، وهو الدكتور عبد الرحمن سالم، وهو واحد من أعلام المختصين في التاريخ الإسلامي المعاصرين، في واحدة من أعرق الكليات وهي كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة.

وهو محدد مهم للغاية لمنح الثقة في مادة المعلومات المعرفة لهذا المدخل أو المصطلح.

٥- **تذييل المدخل بعدد من المصادر للاستزادة** ، وهي ثلاثة:

أ- فقه الشورى والاستشارة للدكتور توفيق الشاوي، رحمه الله.

ب- في النظام السياسي، للدكتور محمد سليم العوا.

ج- محمد في المدينة، لوات(النص الإنجليزي)

على الرغم من أصالة هذه المصادر الثلاثة؛ فقد غاب عن هذا البند التأسيسي في المدخل/ الموسوعي بعض المصادر بالغة الأهمية، من مثل:

أ- مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي (الخلافة الراشدة ، للدكتور محمد حميد الله (وهو من المراجع البنائية في المدخل).

ب- وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير عبد الأمير زاهد، (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت سنة ٢٠١٤م).

أما من جهة ما يمكن أن يقدم للتعليق على هذا المدخل من انتقادات، فيمكن أن نشير إلى ما يلي:

أولاً: السكوت عن أشياء تمثل مثارًا لتساؤلات

مهمة من مثل: تاريخ كتابة الصحيفة، وهل كتبت دفعة واحدة أم على فترات متعاقبة؟

ثانيًا: توثيق نص الصحيفة ، والحكم عليه حديثيا، وقد قرر دارسو الحديث أن الصحيفة بمجموع طرقها ترقى إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة، كما جاء في: وثيقة المدينة: دراسة حديثية[ضمن وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، ٢٠١٤م؛ ص: ٤٩ لعبد الجبار زين العابدين خلف].

ثالثًا- مستويات ما تنظمه الصحيفة من شئون الحياة.

٥- خاتمة

توقفت هذه المراجعة العلمية النقدية لموسوعة التاريخ الإسلامي أمام واحد من الأعمال المرجعية المنتمية إلى فرع الموسوعات المختصة، مستهدفة تقييمها ، ونقدها في ضوء أصول صناعة الموسوعات الحديثة.

وكشفت عن مجموعة من الخصائص الإيجابية فيها تتعلق بما يلي:

أولاً: تصميم الموسوعة.

ثانيًا: عناصر البنية الكبرى.

ثالثًا: البنية الصغرى.

رابعًا: محدد الثقة في معلوماتها (توقيع المداخل).

خامسًا- محدد توسيع المعلومات (مراجع الاستزادة).

كما رصدت عددًا من السلبيات من وجهة نظر نقاد الموسوعات.

إن هذه الموسوعة خطوة على طريق تراكم العناية بالموسوعات بما هي أعمال مرجعية نوعية ومهمة جدا.

ومثال دال على ما تتعرض له الأعمال المرجعية المختصة في اللسان العربي عن تطور، ومرونة معًا.

المراجع

١- مدخل لدراسة المراجع، الدكتور عبد الستار الحلوجي والدكتورة منى شاكر ، مكتبة البخاري، بالقاهرة ٢٠١٠م .

٢- موسوعات العلوم العربية، لأحمد تيمور باشا، المركز العربي للبحث، القاهرة، ١٩٨٣م

٣- موسوعة التاريخ الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠١٥م.

٤- نظرات في الكتابة التاريخية الجديدة، لبيتر بوركي، ترجمة قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة ٢٠١٠م.

٥- وثيقة المدينة: دراسات في التأصيل الدستوري في الإسلام، تحرير عبد الأمير زاهد، مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٤م.

٦- وقعة صفين، لنصر بن مزاحم، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ط (٣) ١٩٨١م.